اعني المدركة من الانسان كملك مدبر لها وقواه المدركة من الحواس الظاهرة والباطنة كجنوده
واعوانه واعضاؤه كرعيته والنفس الامارة بالسوء التي هي الشهوة والغضب كعدو ينازعه في
مملكته ويسعى في اهلاك رعيته فصار بدنه كرباط وثغر ونفسه كمقيم فيه مرابط فان
جاهد عدوه وهزمه وقهره على ما يحب حمد اثره اذا عاد الى الحضرة كما قال تعالى فضل الله
المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين وان ضيع ثغره واهمل رعيته ذم اثره وانتقم
منه عند لقاء الله عز وجل فيقال له يوم القيامة يا راعي السوء اكلت اللحم وشربت اللبن ولم
تاو الضالة ولم تجبر الكسير اليوم انتقم منك كما ورد في الخبر والى هذه المجاهدة الاشارة
بقوله رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر **المثال الثالث** مثل العقل مثل فارس
متصيد وشهوته كفرسه وغضبه ككلبه فمتى كان الفارس حاذقا وفرسه مروضا وكلبه مؤدبا
معلما كان جديرا بالنجح ومن كان هو في نفسه اخرق والفرس جموحا والكلب عقورا فلا فرسه
ينبعث تحته منقادا ولا كلبه يسترسل باشارته مطيعا فهو خليق بان يعطب فضلا عن
ان ينال ما طلب وانما خرق الفارس مثال جهل الانسان وقلة حكمته وكلال بصيرته وجماح
الفرس مثال الغلبة الشهوة خصوصا شهوة البطن والفرج وعقر الكلب مثال الغلبة
الغضب واستيلائه **بيان خاصية قلب الانسان** اعلم ان جملة ما ذكرناه قد انعم
الله تعالى بها على سائر الحيوانات سوى الادمي اذ للحيوانات ـــــ الشهوة والغضب
والحواس الظاهرة والباطنة ايضا حتى ان الشاة ترى الذيب بعينها وتعلم عداوته بقلبها
فتهرب منه فكذلك ادراك الباطن فلنذكر ما يختص به قلب الانسان ولاجله عظم شرفه
واستاهل القرب من الله تعالى سبحانه وهو راجع الى علم وارادة اما العلم فهو العلم بالامور
الدنيوية والاخروية والحقائق العقلية فان هذه امور وراء المحسوسات ولا تشاركه فيها
الحيوانات ـــــ فان العلوم الكلية الضرورية من خواص العقل اذ يحكم الانسان
بان الشخص الواحد لا يتصور ان يكون في مكانين في حالة واحدة وهذا حكم منه على كل شخص
ومعلوم انه لم يدرك بالحس الا بعض الاشخاص فحكمه على جميع الاشخاص زائد على ما ادركه
الحس فاذا فهمت هذا في هذا العلم الضروري فهو في سائر النظريات اظهر واما الارادة فهو
انه اذا ادرك بالعقل عاقبة الامر وطريق الصلاح فيه انبعث من ذاته شوق الى وجه
المصلحة والى تعاطي اسبابها وارادة لها وذلك غير ارادة الشهوة وارادة الحيوانات بل
تكون على ضد الشهوة فان الشهوة تنفر عن الفصد والحجامة والعاقل يريدها ويطلبها
ويبذل المال عليها فالشهوة تميل الى لذائذ الاطعمة في المرض والعاقل يجد في نفسه زاجرا

عنها فليس في الدواب زاجر الشهوة ولو خلق الله تعالى العقل المعرف لعاقبة الامور ولم يخلق هذا
الباعث المحرك للاعضاء على مقتضى حكم العقل لكان حكم العقل ضائعا على التحقيق فاذا اختص
قلب الانسان بعلوم وارادات ينفك عنها سائر الحيوانات ـــــ بل ينفك عنها الصبي
في اول الفطرة وانما يحدث ذلك فيه عند البلوغ **واما** الشهوة والغضب والحواس الظاهرة
والباطنة فانها موجودة في حال الصبي ثم للصبي في حصول هذه العلوم فيه درجتان احداهما
ان يشتمل قلبه على جملة العلوم الضرورية والاولية كالعلم باستحالة المستحيلات وجواز
الجائزات الظاهرة فتكون ـــــ العلوم النظرية فيه غير حاصلة الا انها صارت ممكنة
قريبة الامكان والحصول وتكون حاله في الاضافة كحال الكاتب الذي لم يعرف من الكتابة الا الدواة الى القلم
والقلم والحروف المفردة دون المركبة فانه قد قارب الكتابة ولم يبلغها بعد **الثانية** ان تحصل له
العلوم المكتسبة بالتجارب والفكرة وتكون كالمخزونة عنده فاذا شاء رجع اليه وحاله حال
الحاذق بالكتابة اذ يقال ـــــ له كاتب وان لم يكن مباشرا للكتابة لقدرته عليه
وهذه هي غاية الدرجة الانسانية ولكن في هذه الدرجة مراتب لا تحصى يتفاوت الخلق فيها بكثرة
المعلومات وقلتها وبشرف المعلومات وخستها وبطريق تحصيلها اذ تحصل لبعض القلوب بالهام
الهي على سبيل المبادأة والمكاشفة ولبعضها بتعلم واكتساب ثم قد يكون سريع الحصول
وقد يكون بطيء الحصول وفي هذا المقام تتباين منازل العلماء والحكماء والاولياء والانبياء ودرجات
الرقي فيه غير محصورة اذ معلومات ـــــ الله تعالى لا نهاية لها واقصى الرتب رتبة
النبي صلى الله عليه وسلم الذي ينكشف له كل الحقائق او اكثرها من غير اكتساب وتكلف بل بكشف
الهي في اسرع وقت وبهذه السعادة يقرب العبد من الله تعالى قربا بالمعنى والحقيقة والصفة
لا بالمكان والمسافة ومراقي هذه الدرجات هي منازل السائرين الى الله تعالى ولا حصر لتلك المنازل
فاما ما بين يديه فلا يحيط بحقيقته علما لكن قد يصدق به ايمانا بالغيب كما انا نؤمن بالنبوة
وبالنبي عليه السلام ونصدق بوجوده ولا يعرف حقيقة النبوة الا النبي عليه السلام وكما لا يعرف
الجنين حال الطفل ولا الطفل حال المميز وما انفتح له من العلوم الضرورية ولا المميز حال العاقل وما
اكتسبه من العلوم النظرية فكذلك لا يعرف ما انفتح على اولياء الله عز وجل وانبيائه من مزايا لطفه
ورحمته وما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وهذه الرحمة مبذولة بحكم الجود
والكرم من الله سبحانه غير مضنون به على احد ولكن انما تظهر في القلوب المتعرضة لنفحات الله
تعالى كما قال ـــــ عليه السلام ان لربكم في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها والتعرض
لها بتطهير القلب وتزكيته عن الخبث والكدورة الحاصلة من الاخلاق المذمومة كما سياتي بيانه

Copyright © King Saud University